بسم الله الرحمن الرحيم

أثر القصيدة النثريّة الحديثة وتطوّرها في الأدب العربي

م.م عمر فيصل غازي

مركز بابل للدراسات الحضاريّة والتاريخيّة

Art.omer.faisel@uobabylone.com

الملخص

تناولت هذه الدراسة موضوع "أثر القصيدة النثرية الحديثة وتطوّرها في الأدب العربي"، بوصفه واحدًا من أبرز التحولات التي طرأت على البنية الشعرية العربية المعاصرة، حيث سعت إلى تقديم قراءة تحليلية ومعرفية لأصول هذا النوع الشعري، وخصائصه الفنية، وسياقات ظهوره، بالإضافة إلى تأثيره المباشر على الشكل والمضمون في التجربة الشعرية الحديثة، وكذلك التفاعل النقدي والشعري تجاهه. بدأت الدراسة في المبحث الأول بتحديد الإطار النظري، فتم في المطلب الأول تقديم تعريف واضح للقصيدة النثرية مع إبراز خصائصها الفنية، كغياب الوزن والقافية، والتركيز على الصورة والتكثيف واللغة الشاعرية الحرة. ثم تناول المطلب الثاني نشأة هذا اللون من الشعر في السياق العربي، مع الإشارة إلى تأثره بالمدارس الغربية وظهوره في لبنان مع مجلة "شعر"، وأبرز رموزه من مثل أنسي الحاج ويوسف الخال وأدونيس، وكذلك تطوره التدريجي حتى أصبح مكوّناً أساسياً في المشهد الشعري العربي.

أما المبحث الثاني، فقد خصص لتحليل الأثر الذي أحدثته القصيدة النثرية في بنية الشعر العربي، حيث تطرق إلى التحولات التي طالت الشكل الشعري، والتجديد في المضمون، مثل التركيز على الذات، وتبني قضايا الإنسان المعاصر، والتخلص من الخطاب التقليدي. وكذلك ناقش مواقف النقاد والشعراء، بين مؤيد يرى فيها انعتاقاً من قيود الشكل، ومعارض يراها خروجا عن روح الشعر العربي. توصلت الدراسة إلى أن القصيدة النثرية لم تكن مجرد ظاهرة عابرة، بل شكلت تحولاً عميقاً في الشعر العربي الحديث، وأعادت تعريف مفاهيم الإبداع، واللغة، والتجربة الشعرية. كما أكدت الدراسة أن الجدل حول مشروعيتها هو جزء من حيوية الأدب وتطوره، وأن القصيدة النثرية، رغم الجدل حولها، قد أثبتت حضورها وشرعيتها في الحقل الأدبي العربي، من خلال ما قدمته من نماذج عالية في التجريب الفني والتعبير الجمالي.

الكلمات الرئيسية: القصيدة النثرية، الشعر، الأدب العربي.

abstract

This study addresses the topic of "The Impact and Development of the Modern Prose Poem in Arabic Literature," as one of the most prominent transformations that have

occurred in contemporary Arabic poetry. It seeks to provide an analytical and cognitive reading of the origins of this poetic genre, its artistic characteristics, and the contexts of its emergence, in addition to its direct impact on form and content in the modern poetic experience, as well as critical and poetic engagement with it. The study began in the first section by defining the theoretical framework. The first section provided a clear definition of the prose poem, highlighting its artistic characteristics, such as the absence of meter and rhyme, and the focus on imagery, condensation, and free poetic language. The second section then addressed the emergence of this genre of poetry in the Arab context, noting its influence by Western schools and its emergence in Lebanon with the magazine "Shi'r" (Poetry). It also highlighted its most prominent figures, such as Unsi al-Hajj, Yusuf al-Khal, and Adonis, and its gradual development until it became a fundamental component of the Arabic poetic scene. The second section is devoted to analyzing the impact of the prose poem on the structure of Arabic poetry. It addresses the transformations that have affected poetic form and the renewal of content, such as the focus on the self, the adoption of contemporary human issues, and the abandonment of traditional discourse. It also discusses the positions of critics and poets, with some supporting it as a liberation from the constraints of form and others opposing it as a departure from the spirit of Arabic poetry. The study concludes that the prose poem was not merely a passing phenomenon; rather, it represented a profound transformation in modern Arabic poetry, redefining the concepts of creativity, language, and poetic experience. The study also confirms that the debate over its legitimacy is part of the vitality and development of literature, and that the prose poem, despite the controversy surrounding it, has proven its presence and legitimacy in the Arabic literary field through the high models it has presented in artistic experimentation and aesthetic expression. **Keywords: prose poem, poetry, Arabic literature**

المقدمة

يُعدّ الشعر أحد أرقى أشكال التعبير الأدبي في الثقافة العربية، وقد ارتبط عبر العصور بالوزن والقافية كسمات أساسية تميّزه عن غيره من الأنواع الأدبية. غير أن التحولات الفكرية والاجتماعية التي شهدها العالم العربي في القرن العشرين، وما صاحبها من احتكاك بالثقافات الغربية وتيارات الحداثة، أدّت إلى ظهور أنماط جديدة من الكتابة الشعرية، من أبرزها "القصيدة النثرية". هذه القصيدة التي حرّرت الشعر من قيود الوزن والقافية، وفتحت أفقاً رحباً للتعبير الفردي، أصبحت محل جدل كبير بين من يعدّها تجديداً ضرورياً، ومن يرى فيها خروجاً عن جوهر الشعر العربي. لقد فرضت القصيدة النثرية وجودها على الساحة الأدبية العربية، ووجدت من يمارسها ويدافع عنها ويطوّرها، حتى أصبحت تمثل تياراً شعرياً له خصائصه ومقوماته. ومن هنا تأتي أهمية دراسة هذه الظاهرة، من حيث نشأتها

وتطورها، ومدى تأثيرها في بنية الشعر العربي ومضمونه، وكذلك في مواقف النقاد والشعراء منها، لما لذلك من أهمية في فهم مسار تطور الأدب العربي الحديث وتفاعله مع المتغيرات الثقافية والفكرية.

منذ ظهور الشعر العربي، كان الوزن والقافية يشكلان الركيزتين الأساسيتين التي يعتمد عليهما الشعراء في بناء قصائدهم. لكن مع مرور الزمن، شهد الأدب العربي تحولات جذرية على جميع الأصعدة، بما في ذلك في الشعر. في بداية القرن العشرين، بدأت تنشأ تيارات أدبية جديدة، تتبنى أسلوبًا مغايرًا لما كان سائدًا، وهو ما عُرف بالقصيدة النثرية. هذه القصيدة، التي تتميز بالتحرر من القيود التقليدية للوزن والقافية، أوجدت لها مكانًا بين أنماط الشعر المختلفة وخلقت تيارًا أدبيًا حديثًا يعبر عن هموم الفرد والمجتمع في العصر الحديث. إن نشوء القصيدة النثرية في الأدب العربي يعد نقلة نوعية في مفهوم الشعر ذاته، حيث أتاحت للشعراء إمكانية التعبير بحرية عن أفكارهم ومشاعرهم دون التقيد بالشكل التقليدي، مما جعلها أداة قوية للتعبير عن قضايا العصر، وتحديات الحياة الحديثة. وقد انعكست هذه التحولات على بنية النص الشعري، سواء من حيث اللغة أو الموضوعات التي تناولتها القصيدة النثرية.

أهميَّة الدراسة

تنبع أهمية هذه الدراسة من كونها تتناول ظاهرة أدبية حديثة أثارت الكثير من الجدل في الساحة الثقافية العربية، وهي القصيدة النثرية، التي مثلت تحدياً للأشكال الشعرية التقليدية. فمع تزايد حضور هذا النمط من الشعر في المشهد الأدبي، أصبح من الضروري الوقوف عند أبعاده الفنية والفكرية لفهم ما أضافه أو غيّره في بنية الشعر العربي. كما تسلط الدراسة الضوء على تحولات الذائقة الشعرية لدى القرّاء والشعراء، وعلى مدى تقبّل النقاد لهذا النوع من القصائد. وتتجلى أهمية البحث كذلك في كونه يسهم في الكشف عن التطور الطبيعي للكتابة الشعرية في ضوء التغيرات الاجتماعية والثقافية، مما يساعد على قراءة الشعر العربي الحديث والمعاصر في سياقه الزمني والتاريخي، وربطه بقضايا الحداثة والتجديد والهوية الأدبية.

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف التي تساهم في توضيح مكانة القصيدة النثرية في الأدب العربي الحديث والمعاصر، ومن أبرز هذه الأهداف:

1 .التعريف بالقصيدة النثرية من حيث مفهومها وخصائصها الفنية التي تميزها عن الأشكال الشعرية التقليدية.

2 .رصد نشأة وتطور القصيدة النثرية في السياق العربي، مع الإشارة إلى أبرز المراحل والرواد الذين ساهموا في ترسيخ هذا النمط الشعري.

3 .تحليل أثر القصيدة النثرية على الشكل والمضمون في الشعر العربي، ودراسة مدى تأثيرها على لغة الشعر، وصوره، ومقاصده.

4 .بيان مواقف النقاد والشعراء من هذا النوع الأدبي، بين التأييد والمعارضة، وإبراز الخلفيات الفكرية والجمالية لهذه المواقف.

حدود الدراسة

تركز هذه الدراسة على تحليل ظاهرة القصيدة النثرية من حيث نشأتها وتطورها وأثرها في الأدب العربي، دون التوسع في الجوانب المقارنة مع الأدب الغربي، إلا إذا اقتضت الضرورة توضيح بعض التأثيرات الثقافية. كما تهتم الدراسة بالتجارب الشعرية التي ظهرت منذ منتصف القرن العشرين، حيث بدأت القصيدة النثرية تفرض حضورها ضمن المشهد الأدبي، وتحديداً في المراكز الثقافية العربية التي لعبت دوراً محورياً في نشر هذا النمط الشعري، مثل بيروت والقاهرة ودمشق وبغداد. ولا تهدف هذه الدراسة إلى تقديم قراءة تحليلية تفصيلية لجميع النماذج الشعرية، وإنما تستند إلى نماذج محددة تُستخدم لتوضيح الخصائص العامة والتأثيرات الكبرى التي أحدثتها القصيدة النثرية على الشعر العربي.

قيمة الدراسة

تكمن قيمة هذه الدراسة في أنها تسهم في فهم التحولات التي طرأت على الشعر العربي في ظل الحداثة، من خلال التركيز على القصيدة النثرية كأحد أبرز أشكال التجديد في المشهد الأدبي المعاصر. فهي تتيح للقارئ والباحث على حدّ سواء فرصة للتأمل في التغيير الذي أصاب البنية الشعرية، ليس فقط من الناحية الشكلية، بل من حيث اللغة والرؤية الفكرية والجمالية أيضاً. كما تُعدّ هذه الدراسة مرجعاً أكاديمياً يمكن أن يستفيد منه طلاب الأدب العربي والنقد الحديث، إذ توفّر رؤية شاملة ومتكاملة حول هذا النمط الشعري المثير للجدل. وتزداد قيمتها العلمية بربطها بين الجانب النظري والتحليل التاريخي لتطور القصيدة النثرية.

المبحث الأول

المفاهيم والأسس النظرية للقصيدة النثرية

تعريف القصيدة النثرية وخصائصها الفنية :

القصيدة النثرية هي نوع من الشعر الذي يتميز بتخليه عن قيود الوزن والقافية التقليدية التي كانت تشكل الأساس في الشعر العربي الكلاسيكي. تختلف القصيدة النثرية عن الشعر التقليدي في أنها لا تتبع القواعد العروضية المعتادة، مما يجعلها تنتمي إلى الأدب الحديث الذي يسعى إلى التحرر من قيود الماضي. تظهر القصيدة النثرية في إطار الجهود التي بذلها الشعراء لتجديد الشكل الشعري، وتكمن أهميتها في كونها تفتح المجال أمام حرية التعبير عن الأفكار والمشاعر دون التقيد بالقوالب التقليدية. تمثل هذه القصيدة شكلاً أدبيًا يعكس التغيرات الثقافية والاجتماعية التي شهدتها المجتمعات العربية في القرن العشرين، حيث أصبح من الممكن التعبير عن الذات بشكل أكثر حرية ومرونة، بعيدًا عن القيود الفنية التي كانت تميز الشعر القديم. القصيدة النثرية ليست مجرد تجنب للوزن، بل هي محاولة لخلق لغة شعرية جديدة تتماشى مع متطلبات العصر الحديث، مما يعكس تحولًا كبيرًا في مفاهيم الشعر وأهدافه.

إنّ تعريف القصيدة النثرية يرتبط أيضًا بطبيعتها التي تعكس الهموم الذاتية والتجارب الشخصية للشاعر بشكل صريح ومباشر. فهي تقوم على تكسير التقاليد والابتكار في الأسلوب، ولا تقتصر على التأملات الجمالية فقط، بل تتناول موضوعات الحياة اليومية، الوجودية، والفكرية. وهذا التغيير في الأسلوب ليس مجرد تحول في الشكل، بل في الرؤية الشعرية التي تضع تجارب الإنسان في مركز الاهتمام، بعيدًا عن الأغراض الشعرية التقليدية مثل الفخر أو الهجاء أو المدح. كما أن القصيدة النثرية

قد تتجاوز اللغة الشعرية التقليدية وتستخدم أسلوبًا لغويًا أقرب إلى النثر، بحيث يمكن للشاعر أن يتواصل مع القارئ بلغة أكثر وضوحًا وسهولة، لكنه يحافظ في الوقت ذاته على جماليات الأدب الشعري.

تعدّ القصيدة النثرية أيضًا انعكاسًا للتغيرات الفكرية التي شهدها العالم العربي في القرن العشرين، حيث بدأت الحركات الأدبية والفكرية في تبني مفاهيم جديدة للحرية الفردية والابتكار في التعبير. وكانت القصيدة النثرية إحدى وسائل الشعراء في تقديم أفكارهم بعيدًا عن حدود الشعر التقليدي. ولذلك يمكن اعتبار القصيدة النثرية وسيلة لتمرد على الأشكال القديمة، من خلال تحررها من القيود الفنية واللغوية التي كانت تحكم الشعر الكلاسيكي. في هذا السياق، تندرج القصيدة النثرية ضمن حركة الحداثة الأدبية، التي تسعى إلى التخلص من القوالب القديمة وتقديم أشكال جديدة تعكس رؤية فنية ومعرفية جديدة[1].

الخصائص الفنية للقصيدة النثرية

من أهم الخصائص الفنية التي تميز القصيدة النثرية، نجد أنها تعتمد على الأسلوب الحر الذي لا يتقيد بالوزن أو القافية. هذا التحرر من القيود العروضية يتيح للشاعر مزيدًا من الحرية في اختيار الكلمات والتعبير عن أفكاره بأسلوب غير مقيد. بهذه الطريقة، تتمكن القصيدة النثرية من تقديم صور شعرية غنية ومعقدة، تتراوح بين التجريد والوضوح، مما يفتح أمام الشاعر أفقًا واسعًا للإبداع. كما أن النثر في القصيدة النثرية لا يعني البعد عن الجمالية أو الغموض، بل هو نوع من الأسلوب الذي يدمج بين الرصانة الشعرية والوضوح البلاغي. في هذه القصيدة، لا تُعتبر الجمالية مرتبطة فقط بالصور البلاغية، بل تشمل أيضًا التنسيق بين اللغة والأفكار، مما يؤدي إلى انسيابيةٍ وإيقاعٍ داخلي، على الرغم من غياب الوزن.

من الجوانب الفنية الأخرى التي تميز القصيدة النثرية هي تنوع الموضوعات التي يمكن أن تطرأ عليها. فبينما كانت القصائد التقليدية في الأدب العربي تركز على مواضيع مثل الفخر والحكمة، فإن القصيدة النثرية تتناول مجموعة متنوعة من الموضوعات التي تعكس تطور الوعي الثقافي والعقلي للشاعر العربي. إذ يمكن للشاعر النثري أن يتناول مواضيع وجدانية، وجودية، فلسفية، اجتماعية، وحتى سياسية، من دون التقيد بالموضوعات التقليدية التي كانت محورية في الشعر العربي الكلاسيكي. يتيح هذا التنوع للشاعر أن يعبر عن معاناته الشخصية أو همومه الاجتماعية، وهو ما يجذب فئات واسعة من القراء الذين أصبحوا يبحثون عن أشكال أدبية قادرة على التعبير عن الواقع المعاصر بكل تعقيداته[2].

القصيدة النثرية كمؤشر على التحولات الاجتماعية والثقافية

تعد القصيدة النثرية أيضًا مؤشرًا على التحولات الاجتماعية والثقافية التي مرّ بها العالم العربي في القرن العشرين. في ظل هذه التحولات، أصبح الشعراء بحاجة إلى شكل أدبي يعبر عن تغيرات العصر وطموحاته، وهو ما تحقق في القصيدة النثرية. فقد تجلى في هذا النوع الأدبي التعبير عن

[1] - أدونيس (علي أحمد سعيد)، زمن الشعر، دار العودة، 1972، ص 45.

[2] -نسي الحاج، لن، منشورات مجلة شعر، بيروت، 1960، ص 13.

التحديات التي واجهتها المجتمعات العربية، سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو ثقافية. هذه القصيدة لا تعكس فقط الأزمات الذاتية، بل تسعى أيضًا إلى توثيق الأزمات الجماعية التي يعيشها المجتمع العربي. في ظل الانفتاح على الثقافات الغربية، شعر الأدباء بأن التقاليد الشعرية القديمة لم تعد قادرة على مواكبة التطورات الفكرية والسياسية، وبالتالي نشأت الحاجة إلى تجديد هذا الشكل الأدبي بما يتلاءم مع متطلبات العصر.

إن القصيدة النثرية أصبحت لسان حال الفرد العربي في العصر الحديث، حيث تمكنت من التعبير عن همومه وطموحاته بشكل مباشر وواقعي. لم تعد القصيدة النثرية مجرد تعبير عن مشاعر الشاعر فقط، بل أصبحت وسيلة للتفاعل مع قضايا المجتمع وتحليل الأوضاع السياسية والفكرية. ويعكس هذا التحول الاجتماعي والثقافي تطور الأدب العربي وتجاوبه مع التحديات التي يواجهها في عصر الحداثة. ومن خلال القصيدة النثرية، استطاع الشعراء أن يطرحوا أسئلة وجودية وفكرية حول الحياة والموت والحرية والسياسة، مما جعل هذه القصيدة تتمتع بقدرة على التأثير في المتلقي بشكل أكبر من الشعر التقليدي.[3]

تفاعل القصيدة النثرية مع الأساليب الأدبية الحديثة

القصيدة النثرية في الأدب العربي لم تكن مجرد تحول شكلي في بنية الشعر، بل هي تعبير عن تفاعل الأدب العربي مع الأساليب الأدبية الحديثة التي نشأت في الغرب. فقد تأثرت القصيدة النثرية العربية بالاتجاهات الأدبية مثل الرمزية والسريالية، حيث تبنى الشعراء العرب بعضًا من تقنيات هذه المدارس التي تعتمد على التعبير غير المباشر، والتجريد، وتوظيف الرموز والصور الشعرية بشكل يعكس التوتر الداخلي للأفراد. هذا التأثر يمكن ملاحظته في بعض الأعمال الشعرية التي تستخدم لغة غنية بالصور الرمزية أو التي تعكس حالة من الاغتراب الوجودي، مما يعكس الصراع بين الذات والواقع. هذه الأساليب كانت بالنسبة للشعراء العرب وسيلة لتوسيع حدود الشعر العربي التقليدي، بحيث يستطيعون التعبير عن مفاهيم وأفكار لم تكن ممكنة في إطار القصيدة التقليدية. من خلال هذا التفاعل، أضحت القصيدة النثرية قناة فعالة للتجديد الثقافي والفكري في الأدب العربي[4].

القصيدة النثرية والتجديد في اللغة الشعرية

إنَّ الخصائص الفنية المميزة للقصيدة النثرية أنها تقدم تجديدًا في لغة الشعر. فالقصيدة النثرية لا تتقيد بالأساليب البلاغية التقليدية كالاستعارة والتشبيه بالطريقة المعتادة، بل تلجأ إلى استخدام أسلوب لغوي أكثر حرية ومرونة، يمكن أن يتراوح بين البساطة والتعقيد. اللغة في القصيدة النثرية ليست مجرد وسيلة للتجميل أو التزويق، بل هي أداة تعبير تفتح آفاقًا جديدة لتناول الواقع. يعتمد الشعراء النثريّون على لغة تتسم بالتلقائية والواقعية، مما يسمح لهم بالتعبير عن أعمق مشاعرهم وأفكارهم. وتكمن قوة القصيدة النثرية في قدرتها على الجمع بين الجمالية البصرية والتركيبية، بحيث تصبح اللغة بمثابة صورة حية تنبض بالمعاني والأحاسيس. هذا التجديد في اللغة يمكن أن يتضمن أيضًا اللعب بالكلمات واستخدام تراكيب لغوية غير تقليدية تعكس روح العصر وتجاربه[5].

---

[3] -خالدة سعيد، الشعر العربي الحديث: كيان النص، دار الساقي، بيروت، 1990، ص 78.

[4] -عبد العزيز المقالح، قراءة في أدب اليمن المعاصر، دار العودة، بيروت، 1981، ص 103.

[5] -إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، بيروت، 1971، ص 299.

القصيدة النثرية أداة التعبير عن الهويّة الثّقافيّة

تعد القصيدة النثرية من أهم وسائل التعبير عن الهوية الثقافية للشاعر العربي في العصر الحديث. فهي ليست مجرد شكل شعري حديث، بل هي تعبير عن تطور الوعي الثقافي والتاريخي للأمة العربية. من خلال القصيدة النثرية، يمكن للشعراء أن يعبروا عن تجاربهم الشخصية والجماعية، وما يمر به المجتمع من تحولات وصراعات. وتبرز أهمية القصيدة النثرية في هذا السياق كونها تمثل أداة قوية لتفكيك الرموز الثقافية التقليدية وإعادة بناء الهويات الثقافية في عالم سريع التغير. بالإضافة إلى ذلك، أصبح للشعراء من خلال القصيدة النثرية صوت يعبر عن رغبتهم في استعادة الأصالة والتراث، ولكن دون الانغلاق على الشكل التقليدي للقصيدة. هذا الوعي بالهوية ينعكس في الطريقة التي يعكس بها الشعراء في قصائدهم اهتماماتهم السياسية والاجتماعية، ويشكل هذا جانبًا مهمًا في تاريخ الأدب العربي الحديث، حيث تجسد القصيدة النثرية التقاء الثقافات والأيديولوجيات المختلفة في ظل العصر الحديث.[6]

نشأتها وتطورها في الأدب العربي :

القصيدة النثرية في بداياتها

القصيدة النثرية في الأدب العربي لم تكن وليدة اليوم، بل كانت جزءًا من تطور طويل بدأ في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، مع انفتاح العالم العربي على الثقافة الغربية. بداية ظهور هذا الشكل الشعري يمكن إرجاعه إلى محاولات محدودة في الأدب العربي التقليدي الذي بدأ يتأثر بالاتجاهات الأدبية الغربية، خاصة في ظل الاستعمار والتواصل مع أوروبا. كان الشعر العربي التقليدي يتسم بالوزن والقافية، ولكن مع ظهور الحركات الأدبية الحديثة، بدءًا من شعراء الرومانسية في مصر ولبنان، بدأ الشعراء العرب في البحث عن أشكال جديدة تعبر عن أفكارهم ومعاناتهم الشخصية بطريقة تتناسب مع روح العصر. كانت القصيدة النثرية في بداياتها محاولات جريئة من شعراء مثل ميخائيل نعيمة وجبران خليل جبران الذين استخدموا النثر للتعبير عن رؤاهم الفلسفية والجمالية. هؤلاء الشعراء استخدموا اللغة الشعرية بنحو غير تقليدي، بعيدًا عن القيود الصارمة التي فرضها العروض العربي، ولكنهم في نفس الوقت احتفظوا بالكثير من الجمالية الشعرية التي ميزت القصيدة العربية الكلاسيكية. وقد كان الهدف من هذه المحاولات هو تجديد الشعر العربي ليواكب التطورات الفكرية والاجتماعية في العالم العربي[7].

القصيدة النثرية في بداية القرن العشرين

مع بداية القرن العشرين، ظهرت القصيدة النثرية كأداة تعبير عن الثورة الفكرية التي اجتاحت العالم العربي في تلك الفترة. في هذه المرحلة، بدأ شعراء مثل أدونيس ونزار قباني في استخدام النثر بشكل أكثر تطورًا، حيث استخدموا الأسلوب النثري ليعبروا عن مواقفهم السياسية والاجتماعية والفكرية. القصيدة النثرية في هذه المرحلة لم تكن مجرد تجديد شكلي، بل كانت تعبيرًا عن تمرد على الأشكال الأدبية التقليدية. شعراء هذا الجيل كان لديهم رؤية جديدة للشعر كوسيلة للتغيير الاجتماعي

[6] -يوسف الخال، الحداثة في الشعر، دار النهار للنشر، بيروت، 1978، ص 55.

[7]-صلاح فضل، أساليب الشعر المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992، ص 61.

والسياسي، ومن هنا بدأت القصيدة النثرية تأخذ شكلًا أكثر تحديًا للمعايير الشعرية القديمة. كان هذا التحدي يشمل تخلي الشعراء عن الوزن والقافية، واعتمادهم على أسلوب أقرب إلى النثر، ولكنهم في نفس الوقت حافظوا على روح الشعر من خلال استخدامهم للصور البلاغية والاستعارات والمجازات. ومن المعروف أن أدونيس كان من أبرز الشعراء الذين قاموا بتطوير هذا النوع الأدبي، حيث حاول دمج الأسلوب التقليدي مع تقنيات النثر الحديث. وقد أسهمت قصائده في تقديم رؤية جديدة للقصيدة النثرية، حيث كان يعبر عن الأسئلة الوجودية والتأملات الفلسفية بطرق مبتكرة. بهذه الطريقة، أصبح الشعر العربي في بداية القرن العشرين يشهد تحولًا كبيرًا في الأسلوب والمضمون، وهو ما سيتواصل لاحقًا في الحركات الأدبية الحديثة[8].

القصيدة النثرية في مرحلة الحداثة

مع منتصف القرن العشرين، أصبح الأدب العربي بشكل عام يشهد تحولًا ثقافيًا وفكريًا عميقًا، وكان هذا التحول جزءًا من حركة الحداثة التي بدأت تأخذ شكلًا أكثر وضوحًا. القصيدة النثرية كانت واحدة من أهم نتائج هذا التحول الأدبي، حيث أصبحت وسيلة للتعبير عن التغيرات العميقة التي كانت تجتاح المجتمعات العربية. في هذه المرحلة، بدأ الشعراء يتجاوزون الفجوة بين الشعر والنثر، مستفيدين من الأساليب الغربية مثل السريالية والرمزية، مما دفع بالقصيدة النثرية إلى أفق أوسع. وبالنسبة للعديد من الشعراء العرب، كانت القصيدة النثرية ساحة للتجريب والبحث عن أشكال جديدة للتعبير عن الذات والواقع الاجتماعي. في هذه المرحلة، كان للشعراء مثل يوسف الخال وهنري زغيب دور كبير في تطوير القصيدة النثرية، حيث قدموا أفكارًا جديدة حول الأسلوب واللغة، وكانوا جزءًا من التحولات الفكرية في العالم العربي. القصيدة النثرية في هذه الفترة كانت تعبيرًا عن الحريات الفردية والرغبة في التغيير، بحيث قدمت رؤية مغايرة للواقع الثقافي والاجتماعي في العالم العربي، وبدأت القصيدة النثرية تؤدي دورًا فاعلًا في حركات الإصلاح والتغيير[9].

القصيدة النثرية في السبعينات والثمانينات

في السبعينيّات والثمانينيّات، شهدت القصيدة النثرية تطورًا إضافيًا مع ظهور ما يمكن تسميته "الجيل الجديد" من الشعراء الذين تأثروا بالحركات الفكرية والسياسية في العالم العربي. كان هذا العقد شهد ظهور العديد من الشعراء الذين اندمجوا في القضايا الاجتماعية والسياسية، مما جعل القصيدة النثرية تصبح أداة قوية للمعارضة والنقد الاجتماعي. هؤلاء الشعراء لم يقتصروا على استخدام النثر كوسيلة للتعبير عن الذات، بل جعلوا منه ساحة للتعبير عن قضايا الشعوب العربية وآمالها في التغيير. أبرز الشعراء الذين ساهموا في هذه المرحلة كانوا مثل سميح القاسم وفدوى طوقان، الذين استخدموا القصيدة النثرية لطرح القضايا السياسية والاجتماعية بشكل جريء. القصيدة النثرية في هذه الفترة لم تكن مجرد أداة تعبير عن التجربة الذاتية، بل كانت أيضًا ساحة للحوار مع القضايا الجماعية، بما في ذلك الصراع العربي-الإسرائيلي، وحقوق المرأة، والتغييرات الاجتماعية في العالم العربي. بذلك،

---

[8] -محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1980، ص 212.

[9] -نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت، 1962، ص 89.

أصبحت القصيدة النثرية في السبعينات والثمانينات وسيلة لتجسيد أزمات العالم العربي في عصره الحديث[10].

القصيدة النثرية في العصر الحالي

تعدّ القصيدة النثرية واحدة من الأشكال الأدبية الرائدة في الأدب العربي المعاصر. لم تعد هذه القصيدة مجرد شكل تجريبي، بل أصبحت جزءًا أساسيًا من الثقافة الأدبية في العالم العربي. الشعراء اليوم يستخدمون القصيدة النثرية للتعبير عن مشاعرهم، وتصوراتهم، وهمومهم اليومية، بل وأحيانًا لانتقاد الواقع الاجتماعي والسياسي. مع التطور التكنولوجي والتغيرات الثقافية الكبرى التي نشهدها، أصبحت القصيدة النثرية وسيلة للتواصل بين الشعراء والجمهور بشكل أكثر مباشرة وسهولة. الشعراء الحاليون يستخدمون القصيدة النثرية للتعبير عن مواضيع متنوعة تشمل الحياة اليومية، الهوية الثقافية، والتمرد على الأشكال التقليدية. وأصبحت القصيدة النثرية اليوم تحمل في طياتها العديد من الأساليب المتنوعة التي تتراوح بين البساطة والتعقيد، وهي تتيح للشاعر الحرية الكاملة في التعبير عن نفسه بلغة معاصرة. في الوقت نفسه، تقدم القصيدة النثرية في العصر الحالي العديد من التجارب الأدبية الجديدة التي تتماشى مع متطلبات العصر، وتفتح آفاقًا جديدة في الأدب العربي[11].

التأثير الغربي في نشأة القصيدة النثرية

لقد لعب الأدب الغربي دورًا حاسمًا في إلهام بعض رواد الأدب العربي بالتجديد في الشعر، خصوصًا في القرن العشرين. فقد اطّلع كثير من الأدباء العرب على تجارب الشعر الغربي الحديث، وخاصة الفرنسية، مثل قصائد بودلير ورامبو، الذين تميزت أعمالهم بالتحرر من الأوزان التقليدية والانفتاح على النثر الشعري. هذه التأثيرات لم تكن مجرد اقتباسات شكلية، بل كانت انعكاسًا لتغيرات فكرية عميقة لدى الجيل الجديد من المثقفين العرب الذين أرادوا التحرر من سلطة الماضي وإبداع أدب جديد يعبر عن واقعهم المتغير. وفي هذا السياق، جاءت القصيدة النثرية كوسيلة لإعادة تشكيل الرؤية الشعرية العربية، عبر تفكيك البنية التقليدية وإعادة صياغة اللغة الشعرية في ضوء الحداثة. لقد استفاد الأدب العربي من هذا التفاعل الحضاري، وظهرت حركة أدبية واعية تدعو إلى التجديد، مما مهّد الطريق أمام انتشار القصيدة النثرية وتثبيت مكانتها في الساحة الأدبية.

مع ازدياد انتشار القصيدة النثرية في الوطن العربي، بدأت المؤسسات الثقافية، من مجلات وصحف وجمعيات أدبية، تتعامل تدريجيًا مع هذا النوع الشعري بوصفه جزءًا من المشهد الأدبي الحديث. في البداية، قوبلت القصيدة النثرية ببعض التحفظ من المؤسسات الرسمية التي كانت لا تزال تحتفي بالشكل الكلاسيكي للشعر، إلا أن تطور الذائقة الأدبية لدى القرّاء والنقاد ساهم في تغيير هذا

[10]-كمال أبو ديب، جدلية الخفاء والتجلي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1981، ص 134.

[11]-إبراهيم محمود، تحولات القصيدة العربية الحديثة، دار الحوار، دمشق، 2000، ص 92.

الموقف. وقد أسهمت مجلات ثقافية مثل "شعر" و"الآداب" و"الكاتب المصري" في نشر أعمال رواد القصيدة النثرية، كما أفسحت المجال أمام الأجيال الجديدة للتعبير عن تجاربها الشعرية ضمن هذا الإطار الفني. هذه المجلات لعبت دورًا كبيرًا في كسر احتكار القصيدة العمودية، وشجعت على نشر أشكال شعرية جديدة بما في ذلك قصيدة النثر. ومع مرور الوقت، تبنت الجامعات العربية أيضًا دراسات أكاديمية حول القصيدة النثرية، مما أضفى عليها شرعية نقدية وثقافية، وساهم في بلورة معايير فنية خاصة بها تُميّزها عن غيرها من الأجناس الأدبية[12].

أبرز سمات التطوّر الفني في القصيدة النثريّة

شهدت القصيدة النثرية عبر مراحل تطورها تطورًا فنيًا ملحوظًا على مستوى البناء الداخلي والمضمون التعبيري. في المراحل الأولى، كانت تعتمد على نثر مشبع بالعاطفة والصور المجازية، لكن مع تطور التجربة، بدأت القصيدة النثرية تأخذ أشكالًا أكثر تعقيدًا وتنظيمًا، من حيث البنية الإيقاعية الداخلية، وتوظيف اللغة بصورة أكثر دقة وتجريبًا. لم يعد الشاعر يكتفي بالتحرر من الوزن والقافية، بل صار يهتم ببناء داخلي يعتمد على التكرار والتماثل والإيقاع النفسي، مما أضفى على القصيدة النثرية طابعًا موسيقيًا خاصًا بها. كما أن القصيدة النثرية المعاصرة أصبحت تهتم أكثر بالتركيز على التفاصيل اليومية، والتجارب الإنسانية الحميمة، مستخدمة لغة بسيطة من حيث الظاهر، لكنها مشحونة بالمعاني والإيحاءات. هذا التطور جعل القصيدة النثرية أكثر قدرة على التعبير عن هموم الفرد والمجتمع، وأصبحت تشكل مرآة للواقع، وتخلق جسورًا جديدة بين الشاعر والقارئ، بعيدًا عن التعقيد النحوي والبلاغي الذي كان يطغى على القصيدة التقليدية.

من الملامح الحديثة لتطور القصيدة النثرية في الأدب العربي أنها لم تعد مجرد شكل أدبي، بل أصبحت وسيلة لتجاوز الانقسامات الأيديولوجية التي لطالما أثّرت على الخطاب الأدبي. فخلال فترات من التاريخ الحديث، ارتبط الأدب العربي بالعديد من الأيديولوجيات، كالقومية، والماركسية، والإسلام السياسي، وكان الشعر في كثير من الأحيان يخضع لتوجهات محددة تملي عليه المضمون والشكل. غير أن القصيدة النثرية قدّمت فضاءً فنيًا حرًا، يسمح للشاعر بالتعبير عن مواقفه بعيدًا عن الانتماءات الأيديولوجية الصارمة. هذا الانفتاح على الذات وعلى العالم مكّن الشعراء من خوض تجارب إنسانية تتجاوز الحدود القومية والسياسية، والتركيز بدلًا من ذلك على الأسئلة الوجودية، والتجربة الشخصية، ومصير الإنسان. بهذا المعنى، ساهمت القصيدة النثرية في خلق خطاب أدبي مستقل، قائم على الحرية والتعدد والتجريب، وهو ما يجعلها اليوم من أكثر أشكال الشعر العربي انفتاحًا وتنوعًا.[13]

---

[12]-سيف الرحبي، الشعر والهوية المتغيرة، وزارة الثقافة العمانية، مسقط، 2004، ص 38.

[13] -محمد عزام، الحداثة في الشعر العربي المعاصر، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1996، ص 118.

المبحث الثاني

أثر القصيدة النثرية في الأدب العربي

تأثيرها على الشكل والمضمون الشعري :

مع بروز القصيدة النثرية في المشهد الأدبي العربي، بدأت تتلاشى تدريجيًا بعض الأسس الصارمة التي حكمت الشعر العربي الكلاسيكي، مثل الالتزام بالوزن والقافية. وقد مثلت هذه القصيدة تحديًا مباشرًا للبنية الشعرية التقليدية التي كانت تُعتبر شرطًا جوهريًا لانتماء النص إلى جنس الشعر. فقد جاء الشكل النثري كرفض واعٍ لهذه القيود، إذ حرص شعراء هذا التيار على تحرير اللغة الشعرية من سجن الإيقاع العروضي الموروث. ورغم أن القصيدة النثرية تخلّت عن الأوزان، فإنها لم تتخلّ عن الشعرية، بل أعادت تعريفها من خلال عناصر جديدة مثل الإيقاع الداخلي، والتكثيف، واللغة المجازية. هذا التحول في الشكل لم يكن وليد لحظة عابرة، بل جاء نتيجة حاجة ملحّة لدى الشعراء للتعبير عن أنفسهم بلغة أكثر انفتاحًا على الواقع، وأكثر قدرة على مواكبة التحولات النفسية والاجتماعية التي يعيشها الإنسان العربي. لذلك، فإن ظهور القصيدة النثرية لم يكن تمردًا فنيًا فحسب، بل تعبيرًا عن تحوّل ثقافي وفكري أعمق، يسعى إلى إعادة بناء النص الشعري من داخله، بأدوات جديدة ووعي نقدي متطور[14].

التحول في اللغة الشعرية

أحد أبرز الآثار التي أحدثتها القصيدة النثرية في بنية الشعر العربي يتمثل في التحول العميق في اللغة الشعرية. فقد كانت اللغة في القصيدة التقليدية تميل إلى البلاغة الفخمة، واستخدام الألفاظ ذات الإيقاع العالي والصور الجمالية المركبة. بينما في القصيدة النثرية، أصبحت اللغة أكثر انسيابية، وأكثر قربًا من لغة الحياة اليومية، دون أن تفقد بعدها الرمزي والجمالي. هذا التحول أتاح للشاعر مساحة أكبر للتعبير عن تجربته الذاتية دون الحاجة إلى تزيين اللغة أو إخضاعها لأوزان محددة. وبدلًا من الارتكاز على الزخرفة اللفظية، بات الاهتمام ينصب على الدلالة العميقة والصورة الشعرية المكثفة. لقد ساهم هذا التطور في تقريب الشعر من القارئ العادي، ومنحه طابعًا إنسانيًا مباشرًا، يعكس الواقع والذات بشكل صادق. كما أتاحت اللغة الجديدة المجال لاستخدام مفردات لم تكن مألوفة في السياق الشعري التقليدي، ما أضفى على النصوص النثرية طابعًا حداثيًا يعبر عن روح العصر. وهكذا، فإن القصيدة النثرية ساهمت في إعادة تشكيل العلاقة بين الشاعر واللغة، وبين النص والمتلقي، بصورة أكثر تفاعلًا وحداثة[15].

إعادة تشكيل المضمون الشعري

[14] -حلمي سالم، الثورة الشعرية، دار المستقبل العربي، القاهرة، 2005، ص 64.

[15]-صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1992، ص 156.

لم يقتصر تأثير القصيدة النثرية على الشكل فقط، بل امتد إلى المضمون الشعري ذاته. فقد تحررت القصيدة من المضامين التقليدية التي كانت تتمحور حول الفخر والمدح والرثاء والغزل بنمطه القديم، لتفتح الباب أمام موضوعات جديدة تُلامس قضايا الذات والوجود، وتطرح أسئلة فلسفية وإنسانية عميقة. لقد أصبحت التجربة الداخلية للشاعر هي المحور الأساس للقصيدة، ولم يعد الشاعر مجرد ناقل لتقاليد جماعية أو صوتًا للجماعة، بل صار صوت الذات الفردية، وتجربتها الخاصة في مواجهة العالم. هذا التحول في المضمون أوجد قصيدة جديدة أكثر تعقيدًا من الناحية الفكرية، وأكثر اتساعًا في تناولها للموضوعات المعاصرة، كالغربة، والاغتراب، والحرية، والهوية. كما أن القصيدة النثرية منحت مساحة واسعة للتجريب، مما سمح بتوظيف الرموز والأساطير والثقافات المتعددة داخل النص الشعري، ليصبح نصًا مفتوحًا على التأويلات المتعددة، وقادرًا على تجاوز حدود المعنى المباشر. بهذا، أسهمت القصيدة النثرية في جعل الشعر العربي أكثر قدرة على التفاعل مع متغيرات العصر، وأكثر تنوعًا في طرحه لمضامينه الفكرية والجمالية[16].

التكثيف والاقتصاد في التعبير

من الخصائص التي فرضتها القصيدة النثرية وأثرت بشكل واضح على مضمون الشعر العربي، قدرتها على التكثيف والاقتصاد في التعبير. فالشاعر في القصيدة النثرية لا يسعى إلى الإطالة أو الإطناب، بل يعمل على خلق صورة شعرية مكثفة يمكن أن تحتوي على تجربة كاملة أو مشهد شعوري غني في عدد قليل من الكلمات. هذا النهج جعل القصيدة النثرية تتصف بقدرة تعبيرية عالية، تختصر الكثير من الإحساس والمعنى في صياغة مقتضبة وعميقة. فالتكثيف هنا لا يعني الاختزال الجاف، بل هو عملية شعرية دقيقة تتطلب اختيار الألفاظ بعناية فائقة، بحيث تكون كل كلمة حاملة لدلالة مزدوجة أو متعددة. كما أن الاقتصاد في التعبير لا يُفقد النص حيويته، بل يمنحه كثافة شعورية ولغوية تجعل القارئ يتأمل كل عبارة على حدة. وهذا ما يميز القصيدة النثرية عن النصوص السردية أو الخطابية، إذ تسعى دائمًا إلى خلق أثر شعري لحظي ومفاجئ، قد يكون أحيانًا صادمًا أو مؤلمًا، لكنه يعبر بصدق عن التجربة الإنسانية المركبة.

إحدى التحولات الجوهرية التي أحدثتها القصيدة النثرية هي كسر المركزية الصوتية القائمة على الوزن والقافية، والتي كانت تعدّ أساسًا لا يمكن المساس به في التقاليد الشعرية العربية. فقد جاء شعر النثر ليؤكد أن الإيقاع ليس مرادفًا للوزن، وأن الموسيقى الشعرية يمكن أن تنبع من الداخل، من خلال تكرار الكلمات أو الصور أو البنى التركيبية. بذلك، اتجه شعراء النثر إلى بناء إيقاع داخلي ينبع من تكرار المعاني أو تناص الجمل، أو حتى توزيع الفقرات بطريقة تشبه أنفاس الشاعر، فتصبح القصيدة كأنها نبض داخلي صامت. كما أسهم استخدام التوازي، والانزياح، والفراغات البيضاء داخل النص في خلق حالة إيقاعية خاصة، تبتعد عن النغمية التقليدية، وتدخل القارئ في جو تأملي هادئ ومتصاعد في آن واحد. وهكذا استطاعت القصيدة النثرية أن تحرر الإيقاع من صيغته الصوتية الجامدة، وأن تجعله جزءًا من البنية الدلالية للنص، لا عنصرًا منفصلًا عنها، وهذا ما أضفى بعدًا حداثيًا حقيقيًا على تجربة الشعر العربي[17].

---

[16]-يوسف الخال، القصيدة النثرية: الشكل والمضمون، مجلة شعر، بيروت، 1958، ص 22.

[17] -عبد السلام العجيلي، مقاربات نقدية في الشعر المعاصر، دار الحوار، دمشق، 2002، ص 66.

القصيدة النثرية وتوسيع أفق التلقي

من أبرز آثار القصيدة النثرية على الشعر العربي أنها وسّعت أفق التلقي، وغيّرت طبيعة العلاقة بين النص والمتلقي. ففي الشعر العمودي أو الموزون، كان التلقي يعتمد بدرجة كبيرة على الإيقاع والجرس الموسيقي وسهولة الحفظ، ما يجعل القارئ يبحث عن المتعة السمعية أكثر من التفاعل التأويلي. أما في القصيدة النثرية، فقد تغيّر هذا الوضع تمامًا، إذ أصبح التلقي قائمًا على الفهم والتأمل والتأويل، واحتاج القارئ إلى مهارات جديدة في قراءة النص، كتفكيك الرموز، وفهم الإيحاءات، وربط التجربة الفردية للتعبير بالتجربة الجمعية أو الكونية. هذه النقلة جعلت القارئ شريكًا في بناء المعنى، ولم يعد النص مكتملًا بذاته، بل ينتظر تفاعل المتلقي ليكتسب حيويته. لقد ساهمت هذه النقلة في خلق قارئ جديد، أكثر وعيًا بالنص، وأكثر استعدادًا لاكتشاف مستوياته الدلالية. ومن ثمّ، فإن القصيدة النثرية لم تغير فقط شكل القصيدة ومضمونها، بل أعادت صياغة وظيفة الشعر ذاته، وحرّكت ركود العلاقة بين الشاعر والجمهور، وطرحت أنماطًا جديدة من التفاعل الثقافي.

لقد وفرت القصيدة النثرية مجالًا خصبًا للتجريب الفني، فلم تعد القصيدة تلتزم ببنية واحدة أو قالب شكلي محدد، بل أصبحت مساحة مفتوحة لتجريب كل أشكال التعبير، من السرد، إلى الحوار، إلى التأمل الفلسفي، بل وحتى إلى تضمين صور فوتوغرافية أو عناصر بصرية في بعض التجارب الحداثية. فبعض القصائد النثرية صيغت على شكل مقاطع متقطعة أو لوحات شعورية متتابعة، وبعضها اقترب من الكتابة السينمائية أو اليومية. هذا التنوع أعاد للشعر حيويته، وجعله أكثر قربًا من الفنون الأخرى، خاصة الرواية والمسرح والفنون البصرية. وهذا الانفتاح لم يكن شكليًا فقط، بل حمل في طياته وعيًا عميقًا بطبيعة الفن المعاصر، وضرورة تجاوز الحدود التقليدية بين الأجناس الأدبية. وقد استفاد كثير من الشعراء من هذه الحرية في دمج الأسطورة والفكر والتاريخ والسياسة في نص شعري واحد، دون الإخلال بشعريته. وبهذا الشكل، أسهمت القصيدة النثرية في توسيع مفهوم الشعر ليشمل مختلف مظاهر التعبير الإنساني، دون أن يفقد هويته الفنية[18].

التعبير عن الأزمات والواقع الجديد بلغة حديثة

في عالم تتسارع فيه الأحداث وتتعقد فيه المشاعر، وجدت القصيدة النثرية نفسها الأقدر على التعبير عن تعقيدات الواقع وأزماته. فبينما كانت القصيدة التقليدية تعتمد أحيانًا على رمزية قديمة أو تراكيب لغوية تقليدية، فإن القصيدة النثرية ذهبت نحو لغة حديثة، تخاطب القلق الإنساني، وتكشف التمزقات الداخلية التي يعانيها الفرد المعاصر. لقد بات الشعر وسيلة للاحتجاج، للتعبير عن العزلة، للبوح، وحتى للرفض، من خلال نص حر لا تقيّده قوالب جاهزة. اللغة في القصيدة النثرية لم تعد ترفًا بلاغيًا، بل أصبحت أداة لكشف الحقيقة، ولإيصال الألم والدهشة والحنين في آن واحد. هذه اللغة الجديدة استخدمت المفارقة، والانقطاع، والانزياح، لتحاكي التشتت والتمزق الذي يعيشه الإنسان الحديث. ولذلك، فإن القصيدة النثرية لم تعد فقط فنًا جماليًا، بل صارت ممارسة وجودية، وموقفًا فكريًا، وطريقة

[18]-أنسي الحاج، الرسالة الشعرية الجديدة، مجلة شعر، بيروت، 1961، ص 19.

لفهم الذات والعالم. ومن هنا، أصبح تأثيرها عميقًا ليس فقط على بنية الشعر، بل على دور الشاعر ذاته في المجتمع.[19]

مواقف النقاد والشعراء من القصيدة النثرية :

منذ ظهور القصيدة النثرية في الأدب العربي، انقسمت الآراء حولها بشكل حاد بين مؤيدين يرون فيها تجديدًا حتميًا، وضروريًا لحياة الشعر، وبين معارضين اعتبروها خروجًا عن جوهر الشعر وموسيقاه الأصيلة. فالفئة الأولى، ومن بينهم أدونيس وأنسي الحاج ويوسف الخال، دافعوا بشدة عن هذا الشكل الفني الجديد، واعتبروه استجابة طبيعية لتحولات الوعي الشعري، وظروف الحداثة، وتغير الذائقة الأدبية. أما الفئة الثانية، المتمثلة في بعض الشعراء التقليديين والنقاد الكلاسيكيين، فقد رأوا أن القصيدة النثرية تهدد الهوية العربية للشعر، وأنها تفتقر إلى الوزن والقافية، وهي سمات بنظرهم جوهرية في تعريف الش2عر. هذا الصراع أفرز سجالات نقدية طويلة وغنية، أثرت المشهد الأدبي، وساعدت على تعميق النقاش حول ماهية الشعر ووظيفته، وجعلت من القصيدة النثرية قضية ثقافية بامتياز، وليست مجرد تجربة جمالية عابرة[20].

موقف النقاد المحافظين

النقاد المحافظون، وخاصة أولئك المتأثرين بالنقد الكلاسيكي، لم يرحبوا بالقصيدة النثرية عند نشأتها، بل اعتبروها مظهرًا من مظاهر الانحلال الأدبي. فقد رأى هؤلاء النقاد أن غياب الوزن والقافية يفقد النص الشعري تميزه عن النثر، ويقوده إلى منطقة غير واضحة المعالم. كما اتهموا شعراء النثر بالعجز عن كتابة القصيدة العمودية، وأنهم يلجأون إلى النثرية هروبًا من شروط الشعر الحقيقية. ومن النقاد الذين مثلوا هذا الاتجاه نجد إحسان عباس وأمين الريحاني في بعض مراحل كتاباتهم، حيث أبدوا تحفظًا كبيرًا على القصيدة النثرية، واعتبروها تجربة لم تنضج بعد. غير أن هؤلاء النقاد، ورغم اعتراضهم، لم يتمكنوا من إيقاف انتشار هذا اللون من الكتابة، بل ساهم نقدهم في تقوية الطروحات النظرية للمدافعين عنها، الذين وجدوا في الهجوم الكلاسيكي فرصة لتوضيح الفرق الجوهري بين النثر النثري والنثر الشعري، وإبراز القيمة الجمالية لهذا الشكل الجديد[21].

المدافعون عن القصيدة النثرية

---

[19] -أحمد عبد المعطي حجازي، الشعر رفيقي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1986، ص 98.

[20]-فاطمة قنديل، لغة الشعر الحديث، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2001، ص 133.

[21]-حسن طلب، تجليات الشعر الحديث، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 2003، ص 118.

في المقابل، برزت مجموعة من الشعراء والنقاد الحداثيين الذين تبنوا القصيدة النثرية، واعتبروها تطويرًا لا مناص منه للمشهد الشعري العربي. أدونيس، أحد أبرز المدافعين عنها، لم يتوقف عند حدود الممارسة الشعرية، بل قام بوضع أسس نظرية قوية تبرر هذا الشكل الجديد من الكتابة، مؤكدًا أن الوزن ليس جوهر الشعر، بل جوهره هو الرؤية واللغة المكثفة. كذلك أنسي الحاج، في مقدمة ديوانه "لن"، أعلن ولادة القصيدة النثرية ككيان مستقل، له خصائصه الجمالية الخاصة، معتبرًا إياها ثورة على القوالب الجامدة، وبحثًا عن الحرية في التعبير. كما ساهم يوسف الخال، من خلال مجلة "شعر"، في خلق منصة احتضنت هذا النوع من الشعر، ووفرت له مشروعية نقدية وثقافية. هؤلاء الشعراء والنقاد لم يكتفوا بالدفاع عن القصيدة النثرية، بل أسهموا في تأصيلها فكريًا وجماليًا، ما أدى إلى تطورها وتوسعها في مختلف البيئات الثقافية العربية[22].

الموقف الوسيط: بين الانفتاح والتحفظ

بين الموقفين المتطرفين في القبول أو الرفض، ظهر اتجاه نقدي ثالث، يمكن وصفه بالموقف الوسيط أو الانتقائي. هذا التيار لم يرفض القصيدة النثرية بشكل كلي، بل دعا إلى التعامل معها بمرونة، مع ضرورة الحفاظ على بعض الخصائص الفنية التي تميز الشعر عن النثر. فبعض النقاد مثل صلاح فضل ومحمد بنيس حاولوا أن يقدموا قراءة متوازنة، تراعي السياق الجمالي واللغوي الجديد الذي جاءت به القصيدة النثرية، دون أن يتخلوا عن المطالبة بحد أدنى من الكثافة اللغوية والصور الفنية التي تميز الشعر. هذا الاتجاه ساعد في خلق مناخ نقدي أكثر اتزانًا، وفتح الباب أمام تحولات تدريجية، دون أن يؤدي ذلك إلى قطيعة تامة مع التراث. ويمكن القول إن هذا الموقف الوسيط أتاح للقصيدة النثرية أن تتغلغل تدريجيًا في الوعي الثقافي العربي، دون أن تثير صدامًا حادًا مع الجمهور أو المؤسسات الثقافية التقليدية[23].

تحولات الموقف النقدي بمرور الزمن

مع مرور العقود، شهد الموقف النقدي من القصيدة النثرية تحولات واضحة. ففي حين كانت تُقابل بالرفض والاتهام عند نشأتها، أصبحت اليوم جزءًا معترفًا به من المشهد الشعري العربي، وتحظى بنصيب معتبر من الدراسات الأكاديمية والنقدية. وقد ساهم في هذا التحول بروز أسماء قوية في هذا المجال، وإنتاج نصوص ذات قيمة فنية عالية، ما أحرج بعض المعارضين الذين اكتشفوا أن القصيدة النثرية قادرة على التعبير العميق، وبناء لغة شعرية عالية، دون الحاجة إلى الوزن التقليدي. كما أن التجربة الطويلة لهذا الشكل من الكتابة أثبتت أنه ليس ظاهرة عابرة، بل شكل أدبي له قاعدته وقراؤه ومبدعوه. وهكذا، انتقل النقد من موقع الاتهام إلى موقع التحليل والتقويم، وأصبحت القصيدة النثرية مادة نقدية مهمة، تخضع للدراسة وفق مناهج متعددة، كالبنيوية، والتفكيك، والتحليل الثقافي، مما أضفى عليها شرعية جديدة في الوسط الأكاديمي والثقافي.

---

[22] -عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1985، ص 89.

[23] -رجاء النقاش، ثورة الشعر العربي الحديث، مكتبة مصر، القاهرة، 1970، ص 140.

النتائج

1 - تأكيد استقلال القصيدة النثرية كشكل شعري: أظهرت الدراسة أن القصيدة النثرية ليست امتدادًا للنثر ولا قطيعة تامة مع الشعر التقليدي، بل هي شكل شعري حديث، يمتلك أدواته الجمالية الخاصة، ويعتمد على التكثيف، والإيقاع الداخلي، والتصوير الرمزي.

2 -تحول في الذائقة الأدبية والنقدية: تبيّن من خلال البحث أن مواقف النقاد والشعراء تجاه القصيدة النثرية قد تغيّرت مع الزمن، إذ انتقلت من الرفض المطلق إلى القبول والتحليل، وهو ما يدلّ على تحوّل في وعي المتلقّي والنّاقد تجاه مفهوم الشعر ووظيفته.

3 -إسهام القصيدة النثرية في تجديد الخطاب الشعري: أكّدت النتائج أن القصيدة النثرية ساعدت على كسر النمطية في الكتابة، وفتحت المجال أمام رؤى جديدة في التعبير، مما جعلها بيئة خصبة لتناول موضوعات معاصرة بلغة مبتكرة وحساسية فنية مختلفة.

4- تعدد الاتجاهات النقدية حولها: كشفت الدراسة عن وجود ثلاثة مواقف رئيسة تجاه القصيدة النثرية: موقف رافض محافظ، وموقف مؤيد حداثي، وموقف ثالث وسطي يسعى إلى التوفيق بين التجديد والمحافظة، ما يؤكد حيوية النقاش حولها وثراء التفاعل الثقافي بشأنها.

المصادر والمراجع

1- إبراهيم محمود، تحولات القصيدة العربية الحديثة، دار الحوار، دمشق، 2000، ص 92.
2- إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، بيروت، 1971، ص 299.
3- أحمد عبد المعطي حجازي، الشعر رفيقي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1986، ص 98.
4- أدونيس (علي أحمد سعيد)، زمن الشعر، دار العودة، بيروت، 1972، ص 45.
5- أنسي الحاج، "الرسالة الشعرية الجديدة"، مجلة شعر، بيروت، 1961، ص 19.
6- أنسي الحاج، لن، منشورات مجلة شعر، بيروت، 1960، ص 13. (رغم طبيعته كشعر، يمكن اعتباره ضمن المقالات الشعرية المنشورة .
7- حسن طلب، تجليات الشعر الحديث، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 2003، ص 118.
8- حلمي سالم، الثورة الشعرية، دار المستقبل العربي، القاهرة، 2005، ص 64.
9- خالدة سعيد، الشعر العربي الحديث: كيان النص، دار الساقي، بيروت، 1990، ص 78.
10- رجاء النقاش، ثورة الشعر العربي الحديث، مكتبة مصر، القاهرة، 1970، ص 140.
11- سيف الرحبي، الشعر والهوية المتغيرة، وزارة الثقافة العمانية، مسقط، 2004، ص 38.
12- صلاح فضل، أساليب الشعر المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992، ص 61.
13- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1992، ص 156.
14- عبد السلام العجيلي، مقاربات نقدية في الشعر المعاصر، دار الحوار، دمشق، 2002، ص 66.
15- عبد العزيز المقالح، قراءة في أدب اليمن المعاصر، دار العودة، بيروت، 1981، ص 103.
16- عبد القادر الجنابي، بيان القصيدة النثرية، منشورات الجمل، كولونيا، 1997، ص 41.
17- عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1985، ص 89.
18- فاطمة قنديل، لغة الشعر الحديث، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2001، ص 133.
19- كمال أبو ديب، جدلية الخفاء والتجلي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1981، ص 134.
20- محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1980، ص 212.